الفصل الثالث

الإسلام وإعادة تشكيل عقل المرأة

الفصل الثالث

الإسلام وإعادة تشكيل عقل المرأة

إن الإسلام عندما أراد أن يرتقي بتشكيل شخصية المرأة هذا الارتقاء الجديد والتشكيلة الغريبة الجديدة لا أقوال غريبة عما سبقها من النساء فقط، لا بل غريبة حتى على نساء القرن العشرين، إن الإسلام عندما أراد السير في طريق تشكيل شخصية المرأة عمل على إعادة تشكيل عقلها وفكرها وابدلها بعقلها عقلاً جديداً وفكراً جديداً وتصوراً جديداً للكون والحياة والإنسان أساسه البعد العقدي الفطري. فأصبحت تنظر إلى الأشياء بمنظار آخر وتزن الأمور بميزان جديد. لقد أجرى الإسلام انقلاباً بكل المقاييس على أولويات التفكير النسوي واهتماماته مشكلاً عقلها شكلاً جديداً متبايناً تبايناً تامّاً عما سبقه من عقول نسائية وعما تبعه من عقول نسائية عاشت في هذا القرن الذي ابتعد معظم أهله عن الإسلام.

لقد بلغ من اهتمام الإسلام بالعقل إن جعله مناط التكليف وإن لا دين لمن لا عقل له وهو الذي يميز بين الإنسان وغيره من المخلوقات فالعقل هو الإنسان بل كل الإنسان وهو الطاقة المحركة له المتحكمة فيه، والتي توجهه الجهة التي يريد. لذا فقد حرص الإسلام كل الحرص على تنمية هذا العقل بتوجيهه إلى طرق جديدة في التفكير وتشكيل العقل الإسلامي التقويمي الناقد سواء للرجل أو المرأة، ولكن الذي يهمنا هنا:

أولاً: لماذا أراد الإسلام إعادة تشكيل الفكر والعقل النسوي؟.

ثانياً: كيف استطاع الإسلام إعادة هذا التشكيل؟

إن الإسلام أراد هذا التشكيل الجديد لعقلية المرأة حتى تشارك في تحقيق الانقلاب الإسلامي الشامل مع الرجل جنباً إلى جنب، ولكونها أيضاً جزءاً من

الانقلاب الإسلامي نفسه وأراد لها أن تشارك عن وعي وتدبر وتخطيط وإدراك لا أن تشارك لمجرد المشاركة أو عن جهل أو غفلة فإن أعيد تشكيل عقلها فستكون مشاركتها تدبيرية لا تدميرية ومشاركة عقلية ووجدانية لا مشاركة عفوية آنية سرعان ما تنهار أمام أول زوبعة قد تصيب كيانها الذاتي الخاص أو كيانها الذاتي العام إذا لم تعتمد على أساس ركين من جذور إيمانية وعقلية راسخة في أعماق النفس التي ما ألفت المشاركة في العمل العام قبل الإسلام، وحتى وإن شاركت فستكون مشاركتها نتيجة مقاييس أو معايير جاهلية وقبلية وعصبية نتنة نهاها عنها الإسلام أو مشاركة إباحية أدت إلى سقوط الجمر على المجتمع فأحرقته وأهلكته.

وأراد الإسلام للمرأة أن تعمل في النشاط المجتمعي العام أو في العمل الاجتماعي الإنساني وتشارك مشاركة فعالة في بناء الذات الكبرى العامة بعد أن تبني ذاتها الصغرى الخاصة. لذا كان لا بد من إعادة تشكيل العقل النسوي المسلم.

وإذا كان للرجل اليد الطولى في بداية هذا الانقلاب الإسلامي الشامل فقد أصبح للمرأة في ظل الانقلاب الجديد اليد الطولى في المحافظة عليه وديمومة عطائه العقدي الذي يعتبر نقطة الجوهر في عالمية الإسلام وكذلك ديمومة عطائه الفكري والحضاري والمادي وسلطت الأضواء على المرأة في البناء السلوكي والعطاء الأخلاقي الذي يعتبر حجر أساس في العطاء الحضاري الإسلامي ونقطة الفصل بين البناء والهدم وذلك من خلال تخريج جيل من القادة والزعماء أو العلماء الذين تربوا في أحضان أسر وأمهات تشكلت عقولهن وفق المعطيات العقدية الربانية الجديدة والمعطيات الحضارية الإسلامية، فكانت المرأة والحال هذه المعين الذي لا ينضب في تزويد الأمة بالكوادر الإيمانية المتجددة، ولعل هذا السر هو الذي جعل الإسلام يضع الأسرة على رأس أولوياته التجديدية، ويجعل إعادة صياغة عقل المرأة على رأس برنامجه التغييري.

ولذلك وضع الإسلام قدسية خاصة لنشاطات المرأة المسلمة البيتية وإن كانت

قليلة في الظاهر إذا ما قيست بعمل الرجال إلا أن أجر هذا العمل القليل يعادل أجر العمل الكثير الصعب الذي يقوم به الرجال من الجهاد والعمل والصلاة في المسجد. . . الخ. بل إن اهتمام المرأة ببيتها وتربية أولادها وطاعتها لزوجها على الحق يعادل ذلك كله ففي الحديث: «روي أن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها ـ أتت إلى النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت يا رسول الله: «إني وافدة النساء إليك إن الله بعثك بالحق للرجال والنساء. فآمنا بك واتبعناك وإنّا معشر النساء محصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم وأنتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهادة الجنائز وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى. وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو مرابط أو معتمراً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم في هذا الخير والأجر يا رسول الله. فالتفت الرسول ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ثم قال: «هل سمعتم مقال امرأة أحسن من هذا عن أمر دينها. فقالوا: يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت إليها النبي ﷺ ثم قال: انصرفي ايتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء إن طاعة الزوج اعترافاً بحقه يعدل ذلك وقليل منكن من تفعله»، أخرجه البزار والطبراني.

ومن هنا نرى أن الإسلام عندما أراد أن يبني مجتمعه الجديد اهتم بالمرأة اهتماماً خاصاً لبناء المجتمع الإسلامي الكامل المتكامل عقدياً ووظيفياً وسلوكياً.

فإذا كانت مهمة المرأة السابقة للإسلام الامتاع الجنسي والايلاد فقد أصبح لها في ظل الإسلام مهمة جليلة أخرى بل من أهم مهماتها وهي أن تتوجه بروحها وتوجه ابناءها نحو الجهاد لتحقيق عالمية الإسلام، فإذا كانت من أولى مهماتها التوجه نحو حركة الانقلاب الإسلامي الجديد والتوجيه التربوي السليم له، فقد حقق الانقلاب عالميته وديمومته ويحقق عالميته وديمومته، من خلال العناصر النشطة التي ربتها الأسرة المسلمة التي عرفت ولزمت. عرفت أن الجهاد والاستشهاد هما سبيل الأمة إلى النصر والمحافظة على المكتسبات، بل وفتح أبواب جديدة نحو المد الإسلامي، ولزمت بيتها تربي أولادها على الجهاد والتضحية لتحقق الغاية الكبرى

للبعث الإسلامي . وعرفت المرأة المسلمة أن المحافظة على الأخلاق والسلوك العام في المجتمع هو مهمتها أولاً ـ قبل الرجل ـ فإن ساء سلوكها فقد ساء سلوك المجتمع وحلت الكارثة، عرفت ذلك ولزمت طرق الوقاية والعلاج للمحافظة على ذاتها وذاتية المجتمع للوصول إلى المجتمع الإسلامي النظيف لا مجتمع الخسة والرذيلة، أو مجتمع الخيانة العظمى، لقد عرفت المرأة المسلمة واجبها ومالها وما عليها أقوال عرفت ولزمت.

وإذا كان الرسول ﷺ قد ربّى الصحابة تربية خاصة تتناسب مع الدور الحضاري العظيم الذي سيقوم به الإسلام ويكونون هم دعاته ومبشريه ومريديه رجالاً ونساء، فقد تركت مهمة التربية والتوجيه من بعده وإكمال نمو البناء الحضاري الإسلامي العالمي لشخصين من أمته ﷺ، وهما العالم والأم اللذان يؤثران على تشكيل مجتمع التغيير وصياغة الجيل الانقلابي المنشود. فالأم تحتضن وتربي وتوجه داخل الأسرة الصغيرة والعالم يربي ويوجه داخل الأسرة الكبيرة المسلمة بل وقد يتعداه إلى خارج حدود دولة الإسلام.

فالعالم الحق هو الذي يجعل المجتمع بين يديه يسيِّره وفق القرآن والسُّنة، بل هو المحرك الرئيسي لأفراد المجتمع، فكل الناس يتوددون إلى الملوك والأمراء والسلا طين إلا العلماء المخلصين فيتودد إليهم الملوك ويأتونهم طائعين، أما الأم فهي صاحبة المهمة الجليلة التي تخرج أجيال التغيير المنشود من مدرسة الأسرة[1].

لقد أظهر التاريخ قادة المعارك الإسلامية من الرجال واظهرهم أنهم هم المنتصرون الحقيقيون وربما كان هذا هو الحق بالنسبة لغير المسلمين، أما بالنسبة

---

(١) ومنهم من هم علماء سوء وهم الذين عبدوا غير الله بطاعتهم المطلقة الوجدانية والعلمية والعملية لملوك وسلاطين السوء. ومن الامهات من هن أمهات سوء ربين أطفالهن على منهج غربي وافد أو منهج محلي مخالف للشريعة الإسلامية وأصبحت هي نفسها قدوة سيئة لبنات جنسها فهبطت إليها الخسة والرذيلة وهدمت المجتمع ومزقته شر ممزق.

للمسلمين فقد كانت لمعاركهم أكثر من قياده: الأولى: قيادة ربانية لمن أحسن عبادة الله وأخلص له والثانية: قيادة ذكورية واضحة تناقلتها كتب التاريخ وسير المعارك، أما القيادة الثالثة: والتي أهملت من كتب التاريخ والسير فقد كانت قيادة من نوع خاص تعمل بهدوء أنها قيادة الأمهات للمعركة من خلال تزويد الجندي بمتطلب سابق للمعركة وهو ارضاعه عشق الجهاد في سبيل الله وارضاعه قناعات معينة وهي ترسيخ ديمومة الإسلام والحفاظ عليها وعالمية الإسلام والعمل عليها. وهما هدفان رئيسيان للدعوة الإسلامية العالمية الدائمة. ولا يمكن أن تتحققا إذا لم يشكل الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم وهذا من الصعب أن يتحقق إذا لم تؤمن المرأة بعالمية الإسلام وضرورة العمل على ديمومته، فإن أيقنت وعملت على ذلك فسرعان ما توجه ابناءها نحو تحقيق هذه الغاية المنشودة وتعمل على تشكيل ميولهم واتجاهاتهم واهتماماتهم بما يخدم تحقيق الهدف السامي. نرى من ذلك أن المرأة تشكل عنصراً رئيسياً مؤثراً تأثيراً بالغاً في صياغة عقلية الطفل المسلم والأسرة المسلمة وبالتالي توجيه ركب المجتمع المسلم.

والسؤال هنا: كيف استطاع الإسلام إعادة صياغة وتشكيل العقلية النسائية؟

لقد شكل الإسلام عقلية التفاعل والتغيير وذلك بالتركيز على:

أولاً: تشكيل عقلية النقد والتقويم والاختيار.

ثانياً: تشكيل عقلية التحدي.

ثالثاً: تشكيل عقلية البناء العام.

رابعاً: تشكيل العقلية الاستقلالية.

أولاً تشكيل عقلية النقد والتقويم والاختيار:

ونعني بها العقلية القادرة على تقويم وتصحيح الأوضاع المجتمعية القائمة أو الأوضاع الشخصية داخل الأسرة وهي القادرة على اختيار الغث من السمين في كافة مناحي الحياة.

فالإسلام وضع إطاراً عاماً لكل منحى من مناحي الحياة، وأبقى للإنسان أن يتشكل وفق المعطيات الجديدة وكان على المرأة ـ والرجل ـ أن يضعا مبادىء الإسلام في كفة والمفاهيم أو المبادىء السابقة في الكفة المقابلة واختيار الأصلح والأنفع والأبقى وفق معيار صحيح، ثم اختبار المبادىء الجديدة للوصول إلى نتائج محددة، ولا يمكن الوصول إلى نتائج صحيحة إلا بعقلية ناقدة مفكرة مقومة لا بعقلية جاهلية مقلدة.

لقد بنى الإسلام في المرأة التفكير الناقد أو الفكر التقويمي منذ بداية الدعوة وذلك من خلال وضع الدين الجديد مقابل المعتقدات القديمة ومحاكمة المعتقدات في ساحة العقل والمنطق وتعريضهما لأشعة العقل التقويمي لاختيار الأحسن وبذلك يكون الإسلام قد صاغ في المرأة العقلية الناقدة منذ دخولها الإسلام، إن الإسلام عندما طلب من الرجل والمرأة الدخول في الإسلام إنما أراد أن يدخلا عن قناعة وترسيخ عقلي.

إن اصلاحات الإسلام النسائية تصبح جوفاء لا قيمة لها لو أهمل الإسلام تشكيل عقلية التفكير النقدي للمرأة، إذ أن معظم اصلاحات الإسلام النسائية بحاجة لمثل هذه العقلية التي لم تكن موجودة عند النساء اللواتي سبقن الإسلام ـ إلا في حالات شاذة ونادرة وفردية ـ فانظر مثلاً إلى حرية البنت في اختيار زوجها بنفسها ألا يصبح هذا الحق أجوف إذا لم يهيء عقل المرأة بالقدرة على الاستفادة من هذا الحق وذلك عن طريق تزويدها بمعايير للقياس والاختيار مقاييس مادية معنوية وروحية؟.

والأصل أنه قبل احقاق الحق لا بد من أن يهيء جواً مناسباً يتعامل مع الحق الجديد، أي بمعنى آخر لا بد من توفر عقلية مناسبة تتفاعل مع الحق الممنوح. وإلا فكم في العصر الحديث من فتيات أو نساء فشلن في التعامل مع الحق الممنوح لهن وفي كثير من الأحيان يكون السبب العقلية النسائية التي تبرمجت عقليتها على تنفيذ

الأوامر الصادرة لها سواء من الأم أو الأب أو غيرها دون مناقشة أو تساؤل بسيط فهي على ذلك عقلية منفذة وليست مقومة وعقلية متبعة لا عقلية ناقدة وعقلية مقلدة لا عقلية مبدعة. ولعلنا لو دخلنا أعماق الذات لديها لوجدنا أن رأيها غير الذي تلفظت به. ولكن ليس في اليد حيلة، ولو بحثنا عن السبب لوجدناه الغياب الكامل أو الجزئي لشخصية المرأة ولفكرها الحر واغتيالاً لعقلها واعتقالا لارادتها ـ وهي ربيبة الجامعة ـ فكيف بالتي لم تكمل المرحلة الإعدادية أو الثانوية لا شك أن حالها أشد وأنكى. واستطاع الإسلام تشكيل العقلية الناقدة في المرأة وذلك من خلال عدة طرق:

١ـ توحيد المعيار القياسي للأمور التي من خلاله تستطيع المرأة أن تواجه الرجل والمجتمع إذا ما حاول النيل من حريتها وكرامتها. والمعيار هنا القرآن والسنة وهما مصدرا التشريع الرئيسيان والمقياس أو المعيار التي تقاس به كل الأمور، فعندما يوحد المقياس أو المعيار وتتجه الأنظار الذكورية والأنثوية للتحاكم إليه باعتباره الفيصل بين أي متخاصمين تصبح المرأة إذا ما طالبت بحق تعتمد على الأصل التشريعي الرباني الذي تعتقده المرأة ويعتقده الرجل، فالتشريع الرباني قدم للمرأة خدمة كبرى من خلال جعله تشريعاً يعمل به الأفراد والحكومات على سبيل الوجوب والإلزام لا على سبيل الندب والاستحباب، وبذلك يصبح لزاماً على الدولة المحافظة على حقوق النساء إذا ما هضمت من بعض الرجال وهكذا أصبحت المرأة تقيس الأمور بهذا المقياس وتقبل هذه الفكرة وترفضها بناء على قربها أو بعدها عن المعيار الثابت الكامل الشامل الرباني العالمي.

النقطة الثانية أن المرأة جَنَتْ فائدة أخرى من هذا التشريع الإلهي الثابت إذ أن كل امرأة أصبحت تعرف ما لها وما عليها نتيجة ثبات المعيار الجديد فأصبح قانون المرأة واضحاً تعرفه المرأة ويعرفه الرجل على السواء، وغير قابل للتغيير والتبديل بل ثابت مما يساعد المرأة حفظ الأمور التي تهمها عن ظهر قلب دون العودة إلى المحامين وأهل القانون، فالقانون الثابت يسهل حفظه خصوصاً عند الأميين

والأميات نتيجة نقله جيلاً عن جيل دون تغيير أو تحريف، وكذلك فالقانون الكامل الشامل يريح المرأة من البحث عن حل مشكلاتها مهما كانت هذه المشكلات ومهما كان حجمها فما من مشكلة تواجه المرأة إلا وفي هذا القانون عرض لها وعلاج. وعندما يكون القانون ربانياً فهو يلزم المجتمع والحكومات بتنفيذه، فيكتفى أن تعرض قضية المرأة أمام الحكومات الإسلامية المخلصة فتحل بلا أدنى مواربة إذ أن القانون الوضعي الإنساني غير الرباني من السهل الميسور التحايل عليه والخروج من أي مشكلة مهما كانت مستعصية، أما القانون الرباني فيصعب الخروج منه بالتحايل وذلك نتيجة القدسية الخاصة والمراقبة الذاتية للقانون الإلهي في نفوس أتباعه، وكذلك فإن ربانية الحل يقابلها عدالة القانون ودقة المعيار وسلامة المقياس فعلى المرأة أن تستوعب هذا المعيار وتطالب بمطالبها التحررية بناء عليه حينئذٍ سيصبح لمطالبها قدسية خاصة لارتباطها بمعيار مقدس عند كل أتباعه[1].

٢ـ حرص الإسلام كل الحرص على تشكيل العقلية الناقدة للمرأة من خلال تعليمها من حلال وحرام وشؤون البيت والأسرة وحث على تعليمها بعض الأعمال الأخرى مثل التمريض وتعليم البنات... الخ. فالعلم والتعلم هما مادة العقلية الناقدة الرئيسية وبدونهما لا عقلية مفكرة أو مقومة أو ناقدة أو مغيرة أو ثائرة فلا نقد ولا تقويم

(١) يظهر في كثير من الأحيان للمطلع على قضايا المرأة ما كتبته بعض الكاتبات حول قضية المرأة غياب وحدة القياس لمعالجة المشكلة أو القضية فهي مثلاً تقبل بالإسلام لأنه طالب بتعليم المرأة وأعطاها حق الإرث وأعطاها حق اختيار زوجها بنفسها ووضع حقوقها بقالب قدسي وقد تطالب بتطبيق الإسلام من هذا الجانب فقط وبنفس الوقت فلسانها أو لسان حالها يطالب بتطبيق الاشتراكية بحجة أنها فتحت فرصة أكبر لعمل المرأة خارج بيتها وقد تبجل المجتمع الغربي وتطالب المرأة العربية بمشابهته لأنه أعطى المرأة حرية شخصية من نوع آخر أكثر من غيرها من المجتمعات المعاصرة فلها أن تلبس ما تشاء وأن تصادق من تشاء من الرجال دون قيد أو شرط، بل ولها أن تزني مع من تشاء دون رقيب أو حسيب عليها، وهكذا فإننا نرى غياباً واضحاً لمقياس أو معيار محدد تقاس به مشكلات المرأة في المجتمعات العربية الحديثة وغير العربية.

ولا تصحيح إذا لم يسبقه علم كاف ومعرفة بالأمور التي تحتاج إلى تقويم والتعليم النسائي الذي حرص عليه الإسلام هو مقياس بل أساس العقلية الناقدة وقد منحت المرأة هذا الأساس ولم يبق عليها إلا استغلاله الاستغلال الأمثل.

إن عقلية النقد لا تكون إلا عندما توجد مشكلة تحتاج إلى حل أو أن هناك أمرين مختلفين أو أكثر والمطلوب أن يميز الخبيث منهما من الطيب وهنا يظهر دور العقلية الناقدة جلياً واضحاً، وهنا لا بد من التذكير بأن الإسلام فتح باب حرية تفكير المرأة على مصراعيه وعليها أن تختار أصلح الأمور لها اختياراً مسؤولاً لا اختياراً عشوائياً أو جاهلياً. ينحرف عن المعيار الصحيح السليم الذي وضع لها لقياس أمورها جميعاً.

وسنتناول حادثة من الحوادث التي حصلت مع الرسول ﷺ وزوجاته تبين هذه الحادثة درجة الارتقاء الإسلامي بعقلية المرأة وقدرتها على اختيار الأنسب والأصلح لها، وهذه الحادثة هي حادثة التخيير لزوجات النبي ﷺ بين البقاء عند الرسول ﷺ أو فراقه بالمعروف. ونريد أن نتناول هذه الحادثة من خلال عرض سيد قطب لها في كتابه في ظلال القرآن، يقول عز وجل في سورة الأحزاب: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الأخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾**.

يقول سيد قطب: (ولقد بلغ الأسى برسول الله ﷺ من مطالبة نسائه بالنفقة أن احتجب عن أصحابه وكان احتجابه عنهم أمراً صعباً عليهم يهون كل شيء دونه، وجاؤوا فلم يؤذن لهم. روى الإمام أحمد بإسناده، عن جابر رضي الله عنه، قال: أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس والنبي ﷺ جالس فلم يأذن له ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ﷺ ساكت، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنه زيد ـ امرأة عمر ـ سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: هن حولي يسألنني النفقة فقام أبو بكر

إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي ﷺ، ما ليس عنده فنهاهما الرسول ﷺ فقلن والله ما نسأل الرسول ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده، قال فأنزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رضي الله عنها، فقال إني أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتي تستأمري أبويك فقالت: ما هو قال: وتلا عليها: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك. . .**﴾ الآية قالت عائشة: أفيك استأمر أبواي بل اختار الله ورسوله وأسألك لا تذكر لأمرأة من نسائك ما اخترت فقال النبي ﷺ إن الله لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلما ميسراً لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها).

«وفي حادث التخيير نقف أمام الرغبة الطبيعية في نفوس نساء النبي ﷺ في المتاع، كما نقف أمام صورة الحياة البيتية للنبي ﷺ ونسائه رضي الله عنهن وهن أزواج يراجعن أزواجهن في أمر النفقة فيؤذيه هذا، ولكنه لا يقبل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن يضربا عائشة وحفصة على هذه المراجعة، فالمسألة مسألة مشاعر وميول بشرية تصفى وترفع، لكنها لا تخمد ولا تكبت ويظل الأمر كذلك حتى يأتيه أمر الله بتخيير نسائه فيخترن الله ورسوله والدار الآخرة اختيار لا إكراه فيه ولا كبت ولا ضغط فيفرح قلب رسول الله ﷺ بارتفاع قلوب أزواجه إلى هذا الأفق السامي الوضيء»:

«ونقف كذلك أمام تلك العاطفة البشرية الحلوة في قلب الرسول ﷺ وهو يحب عائشة حباً ظاهراً ويحب لها أن ترتفع إلى مستوى القيم التي يريدها الله له ولأهل بيته فبدأها بالتخيير ويريد أن يساعدها على الارتفاع والتجرد فيطلب إليها ألا تعجل في الأمر حتى تستشير أبويها وقد علم أنهما لم يكونا يأمرانها بفراقه كما قالت، وهذه العاطفة الحلوة في قلب النبي ﷺ لا تخطىء عائشة رضي الله عنها، من جانبها في إدراكها فتسرها وتحفل في تسجيلها في حديثها، ومن خلال هذا الحديث يبدو النبي ﷺ إنساناً يحب زوجته الصغيرة فيحب لها أن ترتفع إلى أفقه الذي يعيش فيه وتبقى معه في هذا الأفق الوضيء، ثم نلمح مشاعرها الأنثوية كذلك وهي تطلب إليه أن لا

يخبر أزواجه الأخريات أنها اختارته حين يخيرهن وما في هذا الطلب من رغبة في أن يظهر تفردها في هذا الاختيار وميزتها على بقية نسائه في هذا المقام، وهنا نلمح عظمة النبوة من جانب آخر في رد رسول الله ﷺ وهو يقول لها: «إن الله تعالى لم يبعثني معنفاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً لا تسألني واحدة منهن عما اخترت إلا أخبرتها» فهو لا يود أن يحجب عن إحدى نسائه ما قد يعينها على الخير ولا يمتحنها امتحان التعمية والتعسير بل يقدم العون لكل من تريد العون كي ترتفع على نفسها وتتخلص من جواذب الأرض ومغريات المتاع».

«هذه الملامح البشرية العزيزة ينبغي لنا ـ ونحن نعرض السيرة ـ ألا نطمسها ولا نهملها ولا نقلل من قيمتها فادراكها على حقيقتها هو الذي يربط بيننا وبين شخصية الرسول ﷺ وشخصيات الصحابة رضي الله عنهم برباط حي فيه من التعاطف والتجارب ما يستجيش القلب إلى التأسي بالعمل والاقتداء الواقعي».

إننا من خلال هذه الحادثة ـ وقول سيد قطب فيها ـ التي جعلها الله قرآناً يتلى نرى الكم الهائل من اهتمام الإسلام بعقلية المفاضلة والنقد ووضع مقوم العقل الناقد ـ العلم وعدم التعمية ـ أمام المرأة لتحسن الاختيار فلا اجبار ولا دكتاتورية بل هي عقلية إسلامية شورية نقدية، وحتى لو كان المختار رسول الله ﷺ، ولكن تبقى هذه المفاضلة وهذا التخيير ضمن إطار الإسلام العام لا يخرج عنه قيد أنملة، فإن خرج عنه فقد تحول العقل الناقد التخييري الذي أراد تشكيله الإسلام إلى عقل منحرف وعلى شاكلة تختلف عن العقلية التي أرادها الإسلام في تشكيلته الجديدة للعقل المسلم.

فعقلية الاختيار والنقد والتقويم هي العقلية التي تفرق بين الحق والباطل وفق معيار صحيح ثابت، أما عقلية التحدي فهي العقلية التي تتحدى الباطل وتقف في وجه الخطأ وتجاهد في سبيل الحق، فعقلية النقد هي عقلية التفريق بين الحق وغير الحق، أما عقلية التحدي فهي تحدي غير الحق.

ثانياً: تشكيل عقلية التحدي:

ونعني بها الشخصية أو العقلية التي تتفاعل مع الخير العام و الخاص وتعمل له وتتحدى ما لا تراه خيراً سواء لذاتها الخاصة أو الذات العامة. وإن رأت الشر يتبختر في الطرقات تسارع لاستنكاره وقد تتحدى الإرادة التي فرضت عليها الأمر الجديد دون إرادة منها ضمن الاطار العام للاسلام. ولا تخرج بتحديها عن هذا الاطار.

إن التحدي للواقع المأسوي يكون انعكاساً مباشراً للعقيدة التي تحملها الذات النسائية على النظم البالية القائمة، لذلك ارتبط تحدي المرأة المسلمة لواقعها البالي وعقلية التغيير فيها برباط وثيق مع العقيدة الإسلامية التي تحملها وظهر انعكاسها على سلوكهـا العام. وبمقدار تمكن عقيدة الثورة فيها يكون قد تكّون لدى المرأة عقلية التحدي للواقع المأسوي البالي.

إن المنهج الجديد جاء منذ الوهلة الأولى متحدياً لكافة العلاقات الصنمية التي كانت قائمـة ومتحـدياً لهمجية العبـودية ومتحـدياً لغوغائية التشريع ومتحدياً لغابية العلاقات الاجتماعية ومتحدياً لتأليه الأسياد وبالإجمال كان متحدياً للأمر الواقع التي عاشت فيه الإنسـانية بشكـل عام وقريش بشكل خاص كان تحدياً بكل المقاييس فهو إن جهر بالدعوة تحدى سادة قريش وإن صبر تحدى إرادة قريش وإن هاجر تحدى مخطط قريش وإن حارب فليصمد أمام التحدي ثم ينقض على متحديه الأول أو يدخله في الدين الجديد، وهكذا كانت السيرة النبوية تحدياً لكل قوى الكفر منذ اللحظات الأولى للدعوة الجديدة.

وهكذا عاشت مجموعة الصحابة معهم الصحابيات رضوان الله عليهم اجمعين حياة التحدي منذ اللحظات الأولى للدعوة الجديدة وساهمت المرأة المسلمة في انتصار المتحدي الإسلامي الضعيف ظاهراً القوي واقعاً بما حوى من أمثال هذه العقول التي أبدعت العقيدة في صياغتها بشكل فريد، ويكفي النساء شرفاً أن أول دم مسلم نزل في المواجهة والتحدي بين المسلمين الضعفاء البؤساء الفقراء وبين

أصنام الرجعية والتخلف من رجال قريش كان دم امرأة فكانت بذلك شهيدة التحدي البشري العقدي الإلهي للكفر وإعوانه وتشرفت بأنها أول شهيدة في الإسلام وأول ضحايا التحدي المرير مع أصنام الرجعية.

إن سمية بنت خياط زوجة ياسر وأم عمار، أول شهيدة في الإسلام ما هي إلا أمة لأبي حذيفة بن المغيرة، لا تستطيع أن تنبس بكلمة تعارض فيها سيدها أو تراجعه على الأقل فكيف إذن تعارض بني مخزوم مجتمعين، بل كيف تعارض قريش عن بكرة أبيها، وما هي إلا أمة ولا يصل الأمر إلى مجرد المعارضة بل تتحداهم تحدي القوي الصابر في ثوب الضعيف الخائر وتتحدى وتصبر على أذاهم وتعذيبهم حتى اخترق الرمح الضعيف جسدها القوي البالي، إن هذه الأمة المعدومة في مجتمع همجية الرجال وصنمية الاعتقاد وغابية العلاقات ابدعتها العقيدة الصحيحة السليمة وشكلت عقلها وشخصيتها تشكيلاً غريباً عن الواقع المعاش يتسم بعقلانية المواجهة وبعقدية التحدي، بل إننا لم نقع على مدار التاريخ على امرأة تحدت مجتمعها الغابي كما تحدته سمية للحفاظ على دينها وذاتها من العودة إلى صنمية العبودية، وهي لم تكن بعد إلا برعماً في جسم الإسلام اللين ومع ذلك شكل الإسلام فيها العقيدة الربانية التي تتناغم تناغماً تاماً مع الفطرة الإنسانية السليمة فكان لها الانعكاس المباشر على عقليتها فأبدع الإسلام نماذج من النساء قلما نجد مثيلاً لهنَّ في التحدي والعقلانية والإرادة الصلبة.

ولنرى عبقرية نسائية أخرى بلغ الحال فيها من الشجاعة والإرادة والتحدي ما أصبح مضرب الأمثال:

لقد شاركت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية، في غزوة أحد وثبتت مع القلائل الذين ثبتوا وحملت سيفها تقاتل في سبيل الله دون رسول الله ﷺ حتى قال ﷺ: «ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني»، وكان ابنها عبد الله وزوجها غزية بن عمر يقاتلون في صفوف المسلمين، فأصيب ابنها عبد الله فربطت جراحه، ثم

قالت له: «انهض بنا نضارب القوم فقال النبي ﷺ: «من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة» لقد قاتلت أم عمارة أشد القتال حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً، فقال الرسول ﷺ: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة» عند ذلك قالت أم عمارة: «ما أبالي ما أصابني من الدنيا».

لقد عرضنا هاتين الحادثتين حتى نرى من خلالهما الارتقاء الإسلامي في صياغة عقليات أتباعه وتعاملهم مع الواقع الجديد بروح المواجهة الفريدة فسمية تفاعلت مع الدين الجديد كل التفاعل بعد أن طرز الإسلام تفكيرها بطراز جديد حتى وصلت إلى هذا الحد من الجرأة والتحدي للباطل، انّا كان مصدره. وأم عمارة التي ثبتت مع القلائل الذين ثبتوا مع الرسول ﷺ في غزوة أحد لمواجهة جيش جرار ويصاب ابنها بجرح فتربطه وتعيده إلى أرض الوغى، أين عاطفة الأمومة عند هذه المرأة؟ لماذا لم تستغل فرصة التقهقر للمسلمين وتهرب مع ابنها وترجع إلى المدينة بدلاً من أن تضحي بابنها وبنفسها وزوجها، لكنها العقيدة التي عاشت معهم فعاشوا لها وجاهدوا لها فأوصلتهم منازل العُلى بإذن الله. أليس ذلك طرازاً فريداً في تشكيل عقلية التحدي وتشكيل الذات النسائية القوية؟

ولكن حتى نقدر عبقرية البناء الإسلامي لعقلية المرأة الرافض للباطل لا بد من عرض صورة لعقلية المرأة المعاصرة (إن وجدت).

إن النساء في هذا القرن انقسمت إلى قسمين كبيرين، الأول منهما وهو السواد الأعظم من النساء اللواتي تشكلت شخصياتهن تبعاً للظروف المحيطة فتشكلت فيهن عقلية «الانا مالية» أي عدم الاهتمام بالغير وحتى لو كان هذا الغير المجتمع وترك المجتمع وشأنه وكأنه لا يعنيها فهي قد ترضى بالظلم الواقع عليها وعلى بنات جنسها، وترضى بواقع المجتمع مهما كان حاله وشكله، وذلك إما نتيجة لعدم قناعاتهن بطروحات التغيير الجديدة لشؤون المرأة والمجتمع باعتبار أن معظم هذه الطروحات مستوردة من مجتمعات تختلف جملة وتفصيلاً عن مجتمعاتنا المحافظة

ذات الصبغة الإسلامية، وإما لعدم قدرتها على تحدي الأوضاع القائمة، فهي إن حاولت التغيير فسوف تواجه المجتمع الذي لا يرحم، وإما لعدم قناعتهن برائدات الحركة النسائية الحديثة، خصوصاً بعد أن ثبت علاقة العديد منهن بالاستعمار الغربي، وقد يكون لخوفها إن دخلت ضمن تنظيم نسائي إسلامي من الحكومات المتتالية. وقد يكون السبب لا هذا ولا ذاك، بل لأميتها خصوصاً إذا ما علمنا أن نسبة كبيرة جداً من النساء العربيات تحت مظلة الأمية وقد يكون لأنّ الواقع المجتمعي شكّل عقلية المرأة وفق برمجة معينة من الصعب للغاية إجراء تعديل على هذه البرمجة. وغالباً ما تكون أمثال هذه النساء قد تربين في أسر لا مبالية بواقع المجتمع العام، وبواقع القطاع النسائي بشكل خاص. وأمثال هذا الصنف لا ينظر إليه في مجال التغيير الاجتماعي لأنه يتأثر بالتغيير الاجتماعي دون أن يؤثر فيه. أي أنها تنتظر من يغيّر الواقع الاجتماعي ومن ثم تتفاعل مع الواقع الجديد.

وهذا الصنف من النساء لا يكلف نفسه سؤال الذات لماذا فعلت هذا الفعل الاجتماعي فهي تفعل فقط دون السؤال عن فوائده وأضراره. فكيف لمثل هذه أن تتحدى الواقع هذا التحدي المشوب بالأخطار فهي مثلاً إن تحجبت فلا تعرف لماذا تحجبت وما الحكمة منه، وإن خلعت الحجاب لا تدري ولا تقدر نتائج ذلك، بل إنها لا تستطيع أن تقنع نفسها إقناعاً عقلياً بخلع الحجاب. وهي قد تضع على وجهها المساحيق ولا تقدر نسبة الهدم الذي تساهم فيه جراء هذه المساحيق وما فيها من إثارة.

إن هذا النوع من النساء همها الأول إثارة الرجال وكيف تجعلهم يوجهون انتباههم لها ويحصرون اهتمامهم بها، وأن تكون محط انظارهم وإن معظم تصرفاتها اليومية تعكس هذه الحاجة فلا تهتم إلا بالموديلات والموضات فكيف لهذه المرأة أن تهتم بالصالح العام، وأن تتحدي لأجل المجتمع. إن أكبر مصيبة يواجها المجتمع (المرأة الموضة). ومن أجل أن تتخلص المرأة ويتخلص المجتمع من هذه المصيبة

فعلى المـرأة أن تتجـرأ وتتحدى نفسها أولاً قبل أن تتحدى الآخرين للوصول إلى مجتمع الحرية والألفة والفضيلة.

فأمثال هذه النساء لا يشعرن بقيمة الحياة إلا ما يعكس أشراقها على ذاتها لا على مجتمعها وتتعامل مع الـ «أنا» وكأنه معبود من دون الله.

هذا الصنف من النساء لا يستحق أن ينظر إليه في التغيير الاجتماعي الايجابي لأنه العنصر الخامل عن الخير اللامتحدي من أجله وهو العنصر النسائي المتحرك في هدم الفضيلة والتحدي السلبي وهذا عنصر هدم لا عنصر بناء فلندعه وشأنه.

أمـا الصنف الثـاني من النسـاء فهن اللواتي عملن تحت ظل حركات نسائية انتشـرت في الشـرق وهـذا الصنف يقسم إلى قسمين الأول منهمـا الحـركيات الإسلاميات مثل الأخوات المسلمات ولهن حديث آخر. والثاني الحركات النسائية الأخرى وهن مجال الحديث هنا.

هذه الحركات لم تواجه التحدي التغييري الذي واجهته المرأة المسلمة سواء في السـابق أو في الحـاضـر، فقد وصل بالمرأة المسلمة أن تعذب وتسجن وتحرق في سبيل الفكرة الإسلامية، ولم يكن لها معين على الشر والأذى الحكومي الذي انصب عليها، بل إن الحركات النسائية الحديثة وقفت إلى جانب تعذيب المرأة المسلمة في السجـون العـربية وذلك بسكوتها على الأقل عن تعذيب المرأة المسلمة وفي السكوت إقرار وموافقة عليه، وإذا لم يكن هناك إقرار وموافقة من الاتحادات النسائية العربية على تعذيب المرأة المسلمة فهي على الأقل لم تستطع أن تنبس بكلمة في وجه القيادات العربية تطالب بالتخفيف من العذاب عنهن، فكيف تتحدى الصنمية كما تحدته المرأة المسلمة الحديثة. إن الحركات النسائية صنعت في المرأة عقلية الماكياج لا عقلية المواجهة ومقاومة الباطل.

إن المرأة المسلمة لم تجد لها نصيراً على الخير، أما الحركات النسائية الحديثة فقد وجدت أكثر من نصير على الهدم والتخريب إذ أن جو التغيير بالنسبة إليها صحو

وإن كانت تظهر فيه بعض الغيوم غير الماطرة فالمرأة العربية المعاصرة لم تتحد ولكن وجدت أرضاً محروثة وجاهزة للبذار فبذرتها ببذرها المسموم.

ولعل لذلك عدة أسباب فمنها أنها غالباً ما ارتبطت الحركات النسائية بالاستعمار ـ خصوصاً في أول عهدها ونشأتها ـ الذي دعمها كل الدعم ودربها ووضع لها خط السير الذي يجب أن تسير عليه وفقاً لمصلحته وأهدافه فوفر لها سبيل الحماية لتحقيق أهدافه ومنها كذلك ارتباط الحركات النسائية بالعائلات الارستقراطية المتنفذة فإن أرادت الحركات النسائية الحديثة المطالبة بمطالب جديدة ـ غير المرسوم لها ـ أو بمعنى آخر تخرج عن حدها فهذا سيعرض الوضع الارستقراطي لعائلتها للخطر خصوصاً إذا كان أحد أفراد العائلة الارستقراطية عضواً في الحكومة أو ذا وزن في المناصب العليا. وكذلك فإن خروج معظم رائدات الحركة النسائية من بيوتات عالية جعل معظم مطالب الحركة مطالب ميكاجية قشورية ـ على الأقل في ذلك الوقت ـ.

إن مساعدة الأنظمة والحكومات العربية للحركات النسائية الحديث باعتبارها مدعومة من الاستعمار صاحب اليد الطولى في البلدة في تلك الفترة ولكونهم ربيبي الاستعمار وكذلك حالة التفكك العام الذي أصاب الأمة سواء كان تفككاً اجتماعياً أخلاقياً أو اقتصادياً أو سياسياً، وحتى تفككاً أسرياً، فأصبحت الأمة أحزاباً وشيعاً منقسمة على ذاتها.

هذه أسباب عدة ساعدت على تشكيل عقلية الاستجابة في المرأة العربية المعاصرة، لذلك لم تبن الحركات النسائية الحديثة عقلية المواجهة، وإن حاولت المطالبة ببعض الحقوق النسائية فهل هناك من رائدات الحركة النسائية من سجنت يوماً واحداً لفكرها التحرري فكيف إذن بقتلها. . فشتان شتان بين عقلية التحدي التي بناها الإسلام في أتباعه وبين عقلية الاستجابة التي بناها الا ستعمار في أتباعه.

فهل استطاعت مثلاً امرأة عربية أن تقف في وجه زعيم عربي وهي تعيش في ظل القرن العشرين قرن الديمقراطية وحكم الشعب كما وقفت المرأة المسلمة في

وجه الخليفة عمر بن الخطاب وهي تعيش في ظل الإسلام وشورى الإسلام وعدله تنهاه عن التدخل في شأن من الشؤون النسائية وأمام الجمع من المسلمين في المسجد ونذكر الحادثة لنذكرك. ذكر ابن الجوزي في كتابه سيرة عمر بن الخطاب: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نهى الناس عن زيادة المهور وخطب فيهم قائلاً: «لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال» ثم نزل فقامت امرأة في صف النساء طويلة في أنفها فطس فقالت: «ما ذلك لك» قال ولم؟ «قالت إن الله تعالى قال: **﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً﴾**[1] فقال عمر: امرأة أصابت وأخطأ رجل كل الناس أفقه من عمر» ثم رجع وركب المنبر فقال: «يا أيها الناس كنت قد نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن (مهورهن) على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليفعل» وإننا من خلال مقارنة بسيطة سريعة نخرج بالتالي:

إن الإسلام ارتقى بعقلية المرأة للبناء أما غيره من التيارات فقد شكل عقليات هدم نسائية.

إن عقلية التفكير الناقد هي عقلية التفريق بين الحق والباطل كما أسلفنا، أما عقلية التحدي فهي عقلية الوقوف في وجه الخطأ والباطل مهما كان مصدره، أما عقلية البناء العام فهي العقلية التي تتفاعل مع الحق وتعمل له وتجاهد في سبيله. فالأولى عقلية تفريق. والثانية عقلية مقاومة. أمّا الثالثة فعقلية تفاعل.

ثالثاً: تشكيل عقلية البناء العام:

ونعني بها العقلية التي تتفاعل وتؤثر وتتأثر ايجابياً وتفيد وتستفيد وتأخذ وتعطي من وإلى المجتمع المحيط بها وتشارك مشاركة فاعلة في تنميته وبنائه البناء القوي

---

(١) النساء ٢٠.

السليم الخالي من عوامل الهدم، فالعقلية الجديدة المسلمة صيغت صياغة البناء العام فهي إن خرجت فللبناء، وإن دخلت بيتها فللبناء، وإن عملت فللبناء وللصالح العام. وهكذا أصبحت المرأة تتفاعل مع المجتمع بروح جديدة للبناء أياً كان موقعها.

وإننا لا نستطيع أن نقف أمام التفاعل الايجابي النسوي مع الواقع الجديد ـ سواء أكان تفاعلاً تفكيرياً أم تفاعلاً اجتماعياً تغييرياً تجمعياً ـ للمرأة المسلمة إلا إذا ألقينا شعاعاً سريعاً على طبيعة التفاعل الذي كان قائماً بين المرأة قبل الإسلام وبين مجتمعها ونتناول مثالاً واحداً حول ذلك من المجتمع الاسبارطي ومثالاً آخر يمثل الحضارة الحديثة ونأخذه من فرنسا كمثال لواقع المرأة الحديثة في التفاعل السلبي مع المجتمع حتى نرى من خلال هذين المثالين التجديد على شخصية وعقلية المرأة ودورها في البناء العام أو دورها في الهدم العام، ثم مقارنة ذلك بالتجديد الإسلامي وإعادة صياغة عقلية المرأة المسلمة.

«فالمرأة اليونانية لم تكن تشارك في النشاطات العامة في بداية أمرها ولا تؤثر في مسار المجتمع، أما في اسبارطة فقد توسعوا في إعطائها شيئاً من الحقوق المدنية فأعطوها شيئاً من حق الإرث وأهلية التعامل، وما كان ذلك سماحاً منهم واعترافاً بأهلية المرأة وإنما كان لوضع المدينة الحربي حيث كان أهلها في حرب وقتال فكان الرجال يشتغلون في الحرب دائماً ويتركون التصرف في حالة غيبتهم للنساء ومن هنا كانت المرأة في اسبارطة أكثر خروجاً إلى الشارع وأوسع حرفة من أختها في أثينا وسائر مدن اليونان ومع هذا فقد كان ارسطو يعيب على أهل اسبارطة هذه الحرية والحقوق التي أعطوها للمرأة ويعزو سقوط اسبارطة وانحلالها إلى هذه الحرية والحقوق»[1].

«وفي أوج حضارة اليونان تبدلت واختلطت بالرجال في الأندية والمجتمعات

---

(١) مصطفى السباعي / المرأة بين الفقه والقانون ص (١٣).

فشاعت الفاحشة حتى أصبح الزنا أمراً غير منكر وحتى غدت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب ثم اتخذوا التماثيل العادية باسم الأدب والفن ثم اعترفت ديانتهم بالعلاقة الآثمة بين الرجل والمرأة فمن آلهتم (افروديت) التي خانت ثلاثة آله وهي زوجة إله واحد، وكان من أخدانها رجل من عامة البشر فولدت «كيوبيد» إله الحب عندهم ثم لم يتبع غرائزهم ذلك حتى انتشر عندهم الاتصال الشاذ بين الرجل والرجل وأقاموا لذلك تمثال (هرموديس) و (ارستوجتين) وهما في علاقة آثمة وكان ذلك خاتمة المطاف في حضارتهم فانهارت وزالوا»[1].

هذا مثال عن المرأة السابقة للإسلام وسنعطي مثلاً آخر عن المرأة الحديثة من فرنسا فلا يشك أحد في مقدار الحرية التي حصلت عليها المرأة الفرنسية بل إنها ركبت مركب الحرية وأسرع فيها المركب حتى فقدت السيطرة على مقود القيادة فتدهورت حالة المرأة الفرنسية والمجتمع الفرنسي وذلك من خلال الأمراض الخبيثة المعدية التي أصابت المجتمع الفرنسي والسبب بيع الأسرة الفرنسية «بثمن بخس» فأصبحت الأسرة لا قيمة لها وتربية الأولاد والنفقة على الزوجة والأسرة من الأمور الهامشية التي لا يهتم بها. أما شباب وشابات المجتمع الفرنسي فيكفيهم أنهم باعوا الأسرة فباعتهم الصحة واشترتهم الأوبئة فأصبحوا باسم الحرية يخربون بيوتهم بأيديهم، ويحطمون مجتمعهم شر تحطيم حتى لاحت نذر الهلاك في الأفق واضحة بينة.

إن المرأة الفرنسية الحديثة والاسبارطية القديمة خرجت بلا ضوابط حتى تساهم في بناء المجتمع وتشارك في الانتاج فكان ذلك وبالاً عليها وعلى المجتمع الذي تنتمي إليه، بل إن انهيار المجتمع الاسبارطي في رأي ارسطو يعزى إلى هذه الحرية غير المعقلنة التي لا تحدها ضوابط وبالتالي فتح الأبواب أمام العمل الشائن تحت لافتة خدمة المجتمع وتأمين رغيف الخبز. والمرأة الفرنسية الآن ـ وغيرها من نساء

---

(١) نفس المصدر ص (١٤).

العالم ـ تسير خلف خطا اختها الاسبارطية في تهديم المجتمع لا بنائه حيث صيغت عقليتها بتشكيل يهودي خاص حتى تعمل على إفساد الشباب الفرنسي ـ وهذا ما تم فعلاً ـ ودخلت سوق الهدم العام والخاص بثوب البناء العام والخاص وطالبت بحقوق جديدة تحت ستار ما سمي بالحرية وهي في الواقع تحمل معول هدم الذات وهدم المجتمع تحت ستار دعوة الحرية الشخصية المزيفة.

وحتى لا يكون كلامنا عاماً بلا أدلة نورد هذه الأقوال و الأرقام عن المجتمع الفرنسي التي تبين مقدار ما أصاب المجتمع الفرنسي نتيجة فتح الأبواب على مصراعيها أمام ما سمي بالحرية الشخصية بلا قيداً أو ضابط وإعادة تشكيل عقلية المرأة الفرنسية والأوروبية والأمريكية بالقبول بالأوضاع القائمة مما أنزل فرنسا منازل الهلاك. يقول الاستاذ أبو الأعلى المودودي في وصف المجتمع الفرنسي في كتابه الحجاب:

«إن أول ما قد جر على الفرنسيين تمكن الشهوات منهم اضمحلال قواهم الجسدية وتدرجهم إلى الضعف يوماً فيوماً، فإن الهياج الدائم قد أوهن أعصابهم، وتعبد الشهوات يكاد يأتي على قوة صبرة وجلدهم وطغيان الأمراض السارية قد أجحف بصحتهم ويدل على ذلك عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة الفرنسية إلى أن تعفيهم من العمل وتبعثهم إلى المستشفيات في السنتين الأوليتين من سنين الحرب العالمية الأولى لكونهم مصابين بمرض الزهري (خمسة وسبعين ألفاً) وابتلى هذا المرض وحده ٢٤٢ جندياً في آن واحد في ثكنة متوسطة[١].

ويقول طبيب فرنسي نطاسي يدعى الدكتور «ليريد» إنه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بالزهري وما يتبعها من الأمراض الكثيرة كل سنة، وهذا المرض هو أفتك الأمراض بالأمة الفرنسية بعد حمى الدق[٢].

---

(١) ص ٩١.

(٢) ص ٩٤.

«والنكبة الثانية التي قد جرها على التمدن الفرنسي طغيان الشهوة المطلقة ورواج الاباحية وقبولها هي خراب النظام العائلي وتقويض بنيانه.. فمثلاً سبعة أو ثمانية في الألف معدل النساء والرجال الذين يتزوجون في فرنسا اليوم ولك أن تقدر من هذا المعدل المنخفض كثرة النفوس التي لا تتزوج.. يقول عميد كلية شهيرة في فرنسا «لبول بيورور»: «إن عامة الشباب يريدون بعقد النكاح استخدام بغي في بيتهم أيضاً ذلك أنهم يظلون مدة عشر سنين أو أكثر يهيمون في أودية الفجور أحراراً طلقاء ثم يأتي عليهم أحياناً من دهرهم يملون تلك الحياة الشريرة المتقلقلة فيتزوجون بامرأة بعينها حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينته ولذة المخادنة الحرة خارج البيت»(١).

«وإن زنا المحصنات والمحصنين لا يعد من العيب أو اللوم في فرنسا، فإذا كان أحد من المحصنين متخذاً خليلة دون زوجته فلا يرى لاخفاء الأمر من لزوم ويعد المجتمع فعله ذلك شيئاً عادياً طبيعياً في الرجال»(٢). ولهذا كله ضعفت رابطة النكاح وبلغت من الوهن أن ينبتّ حبلها لأدنى مناسبة وربما لم تزد مدة هذه الرابطة على أكثر من ساعات معدودة وربما كان الطلاق لأسباب تافهة تضحك الثاكل، مثل أن أحدهما لا يحب كلب الآخر»(٣).

«ووأد النسل نكبة أخرى جرت إلى التمدن الفرنسي فمن ستين أو سبعين عاماً لا تزال الدعاية بحق حركة منع الحمل على أشدها، وقد زودت هذه الحركة كل رجل وكل امرأة من الأمة الفرنسية بمعرفة التدابير التي يستطيع معها أن يستمتع بلذات العلاقة الجنسية ثم يتقي عاقبتها الطبيعية أي الحمل والتوليد.. وإن السرعة التي لا يزال يخفض فيها معدل المواليد في فرنسا قد حدس منها العلماء والأخصائيون أنه يمنع توليد ستمائية ألف نسمة ـ على الأقل ـ في كل سنة من جراء هذه العادة المنتشرة في البلاد... وأما الحمل الذي يستعصي على تلك الحيل والتدابير

---

(١) ص ٩١.

(٢) ص ٩٤.

(٣) ص ٩٤.

ويستقـر فيخلص منه بالاسقاط ويمنع بهذا التدبير أربعمائة ألف نسمة أخرى من البروز ولا تباشر هذا الاسقاط العوانس والأبكار وحدهن بل تجاريهن في هذه السيئة المتزوجات أيضاً على قدم المساواة، ويعد هذا الفعل بريئاً من كل عيب في نواميس الأخلاق عندهم بل يعد حقاً من حقوق المرأة واجباً والقانون كأنه أغمض عينيه عنه مع أن الفعل جريمة في سجل القانون[1].

والأمـة الفـرنسية لا تزال تهبط فيها نسبة المواليد منذ ستين عاماً متوالية، ففي بعض السنين تزيد نسبة الوفيات على نسبة المواليد، وفي الأخرى تتساويان، وفي الثالثة لا تزيد نسبة الوفيات إلا بقليل جداً، ومن جانب آخر لا يزال عدد المهاجرين في فرنسا ينمو ويكثر فكانوا قرابة ثلاثة ملايين من بين اثنين وأربعين مليوناً من سكان فرنسا الأصليين سنة ١٩٣١، وإن استمرت الحال على ما هي عليه فلا يستبعد أن تعود الأمة الفرنسية عند ختام القرن العشرين أقلية في وطنها[2].

نخرج من هذا العرض لوضع اسبارطة ثم سقوطها بسبب جرافة الهدم النسائية ـ الجنس ـ بثـوب الحقـوق والتحرر والبناء حتى أتت هذه الحقوق على المجتمع الاسبارطي وهدمته من أساسه وكذلك المجتمع الفرنسي الذي سرعان ما انهزم أمام القوات الألمانية في الحرب العالمية الأولى بسبب توضيع المرأة بدعوات براقة مثل حرية المرأة، حقوق المرأة، الحرية الشخصية، قمع السلطة الذكورية، الاستقلال الاقتصـادي عن الـرجـال، المسـاواة.. وغيرها من الدعوات فشكلت من خلالها المجتمـع الـوضيع الـذي لا يقدر على المواجهة أو المجابهة وأحد الأسباب وهو الحرية الشخصية غير المعقلنة وغير المعقلة.

إن الـدعـوات الحـديثة التي ظهرت في القرن التاسع عشر والقرن العشرين المتمثلة بالدعوة لحرية المرأة هي دعوات ومحاولات ونجحت في بعض البلدان أكثر

---

(١) ص ٩٥.　　(٢) ص ٩٥.

من نجاحها في بلدان أخرى ـ لاعادة تشكيل عقلية المرأة نحو تهديم الأسرة بهذه الشعارات البراقة وهي الحركة التي كان وراءها من يزودونها بوقود الحركة حتى تواصل الهدم بثوب البناء[1] هذا الذي أراده سماسرة الجنس والميوعة من إعادة تشكيل وضع المرأة في المجتمع لتتناسب مع مخططات التدمير التي يرزح تحتها العالم الآن ـ إلا من رحم ربي ـ.

لكن كيف استطاع الإسلام تشكيل المرأة تشكيلاً جديداً نحو البناء العام لا الهدم العام؟ إن الإسلام حرص على توضيح دور المرأة بانقلابه الجديد فبين لها دورين رئيسيين في المجتمع الجديد الأول منهما: تنشئة الأسرة ورعايتها والثاني: الحفاظ على الركن الأساسي للمجتمع وهو الأخلاق وهو الركن الذي للمرأة فيه حصة الأسد، بل إنه سرعان ما ينهار إذا ضعفت المرأة.

وللمرأة أدوار أخرى إلا أن هذين الدورين هما الأساسيان وإذا ماتضارب أي دور آخر مع هذين الدورين فيقدمان على سواهما باعتبار أن أي إخلال لاحدهما يعتبر إخلالاً بنظام المجتمع الإسلامي ويعرضه للانهيار الأكيد، وهذا ما رأيناه في المجتمع الاسبارطي وسنراه في المجتمع الفرنسي، فالإسلام لا يعارض أن تساهم المرأة في بناء المجتمع خارج بيتها شريطة ألا يتعارض ذلك مع الدورين الأساسيين لها في المجتمع الإسلامي.

---

(١) قد تكون بدايات ما سمي بقضايا تحرير المرأة نتيجة الظروف الجديدة التي مرّت على المرأة الأوروبية بسبب الثورة الصناعية وحاجة المرأة إلى منحها حقوق فعلية جديدة أي هي نتيجة طبيعية لتشكيل الجديد للمرأة الأوروبية إلا أن الدعوات التحررية النسائية ـ على الأقل فيما بعد ـ استغلت لتحطيم المجتمعات من قبل سماسرة الجنس واليهودية العالمية، وهذا يظهر جلياً في بروتوكولات حكماء صهيون، وكذلك تفاهم الماسونية والصهيونية والاستعمار على هذه النقطة في المجتمعات العربية وإجماعهم عليها فقد أرادوا استغلال دعوات التحرر النسائية لتخريب المجتمعات العربية.

أمـا بالنسبـة إلى الدور الأول فقد جعل الإسلام للمرأة الدور الأساسي فيه ـ ويشاركها فيه الرجل ـ فهو يجعل الأسرة حجر الزاوية في بناء المجتمع وهو بالتالي ينيط بالمرأة أهم وسيلة للحفاظ على المجتمع ، وذلك من خلال الحفاظ على الأسرة ولـذلـك فهـو إن أوجب على المرأة العلم كالرجل فقد جعل العلم بشؤون البيت والأسرة أكثر قدسية وإن سمح لها بالعمل خارج المنزل فقد جعل للعمل داخله أكثر قدسيه وإن أمر بطاعة الوالدين فقد جعل طاعة الزوج ـ على الحق ـ أولى وأقدس ولهذا ركز الإسلام كل التركيز على المرأة المسلمة الأسرية باعتبار أنها حجر الأساس فيها وبدونها يصعب أن تتكون أسرة مسلمة سليمة التكوين إن لم يكن مستحيلاً .

لقد وزع الإسلام العمل بين الزوجين ـ الرجل والمرأة ـ بأعمال مخصوصة لكل منهما إلا أن ذلك لا يعني أن المرأة لا تستطيع أن تقوم بأعمال الرجل مطلقاً أو أن الرجل لا يستطيع أن يقوم بأعمال المرأة مطلقاً، إن كلاً منهما يستطيع أحياناً أن يقوم بعمل الآخر إلا أن توزيع الأعمال والواجبات أقوى للمجتمع وأفضل للحفاظ على كيانـه ، وقـد تم توزيع الـوظـائف وفق الأنسب لكـل عمـل ووظيفـة ، فالبذرة التي يحتضنها التراب هل يمكن أن تنمو هكذا عفوياً بدون ماء ، لا شك أنه لا يمكن في الأغلب الأعم ووفق سنن الكـون وكـذلـك هل يمكن أن تنمو البذرة خارج التربة بواسطة الماء فحسب لا شك أنه لا يمكن وهكذا لا بد لها من حاضن الأم ولا بد لها من منفق الأب ، فلو توافرت الأم الحاضنة ـ التراب ـ بلا منفق الماء لكانت عملية تربية الأولاد في غاية الصعوبة ولو توفر المنفق ولم تتوفر الحاضنة الصالحة للأنبات وتربية البذرة لكانت التربية كذلك مشكلة فلا بد من توافر الاثنين معاً حتى ينمو الطفل ـ البذرة ـ بشكل طبيعي سوي .

والمرأة عندما تركز على العمل البيتي وتجعله جل اهتمامها لا ينقص من قيمتها أو من مكانتها في المجتمع ولا يقلل من إنسانيتها وكذلك فإن العمل المفيد خارج البيت الذي تحافظ المرأة معه على نفسها من التبذل والاختلاط بالأجانب لا يقلل

من إنسانيتها وكرامتها ومكانتها وما أجمل أن تجمع المرأة بين الأثنين معاً بين تربية الأولاد والحفاظ على الأسرة ـ باعتباره الدور الأساسي ـ وبين العمل المفيد المنتج الذي يتناسب مع طبيعة المرأة كالتعليم والتمريض والخياطة. . الخ. وإن كان الجمع بينهما أحياناً في غاية الصعوبة، ولا بد أن يؤثر أحد الاهتمامين على الآخر، ولكن تبقى هذه المسألة تعتمد على فقه المرأة المسلمة لدورها في الموازنة بينهما دون أن يؤثر إحداهما على الآخر.

أما الركن الثاني لدور المرأة فهو بناء المجتمع النقي الصافي الذي تبذر فيه بذور الأخلاق إذ أن القسم الأكبر من مشكلة الأخلاق التي تواجه العالم أجمع تتحمله المرأة فهي سبب الفساد الأول وبالتالي فإنها سبب هدم الفضيلة في المجتمع وبالتالي سبب خراب المجتمع عن بكرة أبيه.

والإسلام عندما يبني مجتمعه يحرص على ترسيخ الفضيلة في نفوس أتباعه وحذر المرأة من السقوط في وحل الفساد والأفساد بل اعتبر المرأة أساس انتشار الفساد وبيدها نشرة وبيدها منعه وبالتالي بيدها هدم المجتمع وبيدها بنائه فالإسلام إذا بنى الذات النسائية الخاصة بما أعطاها من حقوق فقد أوجب عليها أموراً جديدة للحفاظ على الذات العامة، فإن أمرها بالاحتجاب فللحفاظ على الذات العامة والذات الخاصة من الهدم والميوعة فالإسلام والحال هذه أخذ من المرأة لبناء المجتمع وأخذت في المقابل مكانتها الطبيعية الحقيقية في المجتمع.

فالفضيلة أساس العمران ولا يهدم إلا بعكسها وبهذا يكون مصير العمران بيد من بيده الفضيلة أو الرذيلة وهي طبعاً في المرأة، ولذلك قدم الله سبحانه وتعالى الزانية على الزاني في قوله تعالى: **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾** [٢ النور]، وهذا التقديم للزانية على الزاني لم يكن تقديماً عبثياً، وإنما كان عن قصد واضح وهو أن المرأة هي التي تزين للرجل الزنا

وهي التي تبدؤه فإن أرادته حصل وإلا فلا وإن كان الرجل شريك فاعل أيضاً في الجريمة وعليه قسم من المسؤولية يقول الرسول ﷺ أيضاً: « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء، وإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

لقد أبدع الإسلام صناعة المجتمعات وأحسن الانتاج وقضى على عوامل الهدم ورسم عوامل البناء السلوكي والأخلاقي ووزع الحقوق بالعدل فاللمرأة حقها وللرجل حقه وللمجتمع حقه فعاشت الحضارة الإسلامية في أوج تقدمها، ولما اختل ميزان الحقوق اختل ميزان المجتمع وأصبح على حافة الانهيار ولم يبق له حتى ينهار انهياره النهائي إلا بعض الفضيلة في بعض النساء وقد رأينا هذا التناغم الواضح بين قطبي المجتمع الإسلامي ثم بدأ التناغم بالانحدار فبدأ الانحدار واضحاً في كل معالم المجتمع.

وهـذه هي المهمـة الكبـرى التي يجب أن تعيهـا وتعمل لها الحركة النسائية الإسلامية وتعرف ما لها وما عليها في سبيل تطوير الذات العامة، وإن نشر الفضيلة إحدى أهم مهماتها وإن هذا التناغم الجميل بين الفضيلة والمرأة ينشيء المجتمع التغييري الذي أراده الإسلام لقلب الأنظمة الكونية الإنسانية الجائرة.

وهكذا تكون الحركة النسائية الإسلامية التغييرية قد بدأت تؤثر في المجتمع المحيط وتـأخـذ على عاتقها كما أخذ بعض الرجال تغيير الأوضاع القائمة العامة السيئة إلى أوضاع أفضل يستفيد منها الرجال والنساء وكافة أفراد المجتمع.

إن عقلية التفريق ـ التفكير الناقد ـ وعقلية المقاومة ـ التحدي ـ وعقلية التفاعل ـ البناء العام ـ لا تأتي هكذا من فراغ ولكن لا بد لها من مقوم أساسي حتى تتشكل وتقوم أما مقومها الأساسي فهو العقلية الاستقلالية لا العقلية التبعية.

رابعاً: تشكيل العقلية المستقلة:

إن التفكير النـاقـد والاختيار الصحيح والتميز والتقـويم وعقلية البناء وعقلية

التحدي التي أرادها الإسلام للمرأة تعتمد اعتماداً مباشراً على العقلية المستقلة من التبعية للآخرين فالمرأة لا تستطيع أن تنكر أمراً من الأمور ولا تستطيع أن تتحدى الظلم الواقع عليها أو على المجتمع إذا لم تتميز بعقلية مستقلة في التفكير ضمن الإطار العام للإسلام وتتميز بحرية شخصية ضمن الفهم الصحيح للآيات والنصوص الشرعية فبمقدار استقلالية التفكير النسوي يكون الإبداع في تغييرها للوضع العام أما إن كانت المرأة مرتبطة في تفكيرها أو طريقة تفكيرها بشخص آخر فعلى المرأة السلام. وهٰذه واحـدة من أكبر المشكلات التي تواجه المرأة العربية الحديثة فبالرغم من أن الإسلام قد حفظ لها حق الاستقلال في آرائها ضمن الفهم الصحيح للإسلام وبالرغم من أنه منع الرجال من حرمان المرأة من نعمة التفكير النافع المفيد إلا أن المرأة العربية لا تزال ترزح تحت (اللاعقل) في حياتها اليومية وإن استخدمته فإنها تستخدمه عقلاً بأنصاف أو أرباع الاستقلالية التي أرادها الإسلام بل وصل الحال عند البعض من النساء أن كبلت عقليتها أشد التكبيل واكتفت بغيرها يفكر لها ويحركها كيفما شاء وكأنها دمية (أراكوز) لا تتحرك من ذاتها دون محرك. إن مثل هٰذه العقلية النسـائية التبعية يجب أن تعلن الحـركـة النسائية الجديدة حربها الضروس عليها للقضاء على تبعية التفكير النسائي لتظهر الاستقلالية التفكيرية المنظمة وفق معيار صحيح وضع لهٰذه الغاية.

والإسـلام في كل اجـراءاتـه النسـائية يعتمد على تشكيل الشخصية والعقلية النسائية المستقلة والارتقاء بها عن التبعية فهو إن ملكها مالها وأعطاها مطلق الحرية، في التصرف فهو بذلك يعيد تركيب الذات النسائية إعادة جديدة معترفاً بقدرتها على إدارة شؤون المال والاقتصاد بدون وصاية من أحد واعترافاً واضحاً بأنها غير قاصرة، بل راشدة كل الرشد.

قال أرنست لوكـوفيه «ليس من شيء يوضح الانحطاط المعنوي مثل الوصاية المالية» «كيف تعاقب الشريعة المبذر؟ . . في منعه من حق التصرف بأمواله. كيف تقيد القـاصـر؟ . . في منعـه في حق التصـرف بأمـوالـه. كيف تتسلط على غير

الراشد؟ . . في منعه من حق التصرف بأمواله» . . فالحجر على الأموال إذاً هو موت معنوي ومدني لأن التصرف والاعطاء والمناصرة والعمل والحياة هي ابنة التملك» وبناء على ذلك فإن قضية المقام الاجتماعي مرتبطة ارتباطاً شديداً في مسألة المال وإن إطلاق يد الرجل في ثروة المرأة هو قضاء عليها أن تبقى قاصرة ابداً كما هو عامل على بقائه السيد المطلق على أفعالها وحتى على نفسها تقريباً[1].

(فالتاريخ الفرنسي وهي أم المدنية جعل القران الاشتراكي هو الزواج الأصلي ـ القران الاشتراكي ما كان يدمج أملاك الزوجين المشتركة ـ وبموجب هذا الزواج فليس للرجل أن يتولى كل أملاك الزوجين المشتركة فحسب، بل له حق الولاية على عقارات المرأة الخاصة، وأما الزوجة فليس لها حتى في أثناء غياب زوجها أن تبيع شيئاً من الأملاك المشتركة، بل ولا أن تتصرف في أملاكها الخاصة من غير رضاه وزيادة على ذلك فليس للزوجه أن تقبل هدية بغير إذنه في حين أن له الحق أن يهب ما يشاء من الرياش المشتركة في بيتهما معاً فضلاً عن أموالها المنقولة الخاصة[1].

(هذا ومن جملة ميزة الرجل بالتملك والتصرف في قانون فرنسا أن ديون الرجل وما قد يكون عليه من جزاء تكفلها أموال الزوجين المشتركة، وأما ديون المرأة فعليها وحدها إلا أن تكون بإذن الرجل ذلك أنه لا يجوز للمرأة الاتجار إلا بإذنه وإلا فكل عقودها تكون ملغاة، أما إذا أذن لها صار مسؤولاً عن أعمالها[2].

على أن الفرنسيين يذكرون بالخير الكلي (مدام شمل) التي ما انفكت نحو ربع قرن تجاهد في سبيل استقلال الزوجة بكسبها فصدر في ١٣ تموز ١٩١٧ قانون يمنح الزوجة التي تعمل عملاً منفرداً عن زوجها أن تتصرف بثمرة أتعابها وبما تقدمه منها[3].

---

(١) المرأة في الإسلام، محمد جميل بيهم ص ٧١.

(٢) نفس المصدر صفحة ٧٢.

(٣) نفس المصدر ص ٧٢.

أمام هذه التبعية التي تكاد أن تكون مطلقة في كل شيء لنرى كيف بنى الإسلام في المرأة الاستقلال الاقتصادي فالاستقلال الاقتصادي جزء لا يتجزأ من مقومات الحرية الإنسانية.

إن الإسلام أعطى المرأة استقلالاً اقتصادياً فريداً كاملاً فأجاز بيعها وشراءها وإجارتها وعقودها ووصيتها وهبتها وأعارتها وكسبها المالي والتصرف فيه[1] الخ. ومن هنا نرى مقدار اهتمام الإسلام باستقلالية المرأة وقدرتها على التعامل مع هذا الحق الممنوح، لقد منعت الزوجة شرعاً التصرف بأموال زوجها إلا بأذنه وهذا الأمر لا يعني أنها قاصرة ولا تستطيع التصرف بالمال ولكن ذلك لأنّه لا يجوز التصرف بمال الآخرين إلا بأذنه مهما كان هذا الآخرين حتى لو كان الزوج، إذ أنه بالمقابل فإنه لا يجوز لزوج أن يتصرف بمال زوجته إلا بإذنها.

ومثلما أن الاستعباد الاقتصادي نهى عنه الإسلام باعتبار أنه يعني التعامل مع المرأة وكأنها طفل قاصر، وهذا يتنافى كلياً مع الاستقلال الكامل.

وكذلك فإن المساومة على البنات لتزويجهن مثلاً دون اذنهن ما هو إلا الفتيل الذي يحرق المرأة حرقاً ويقضي على حريتها ويحكم عليها بالاستعباد الاجتماعي بزوج لا تحبه ولا تميل إليه أو على الأقل لم تختره بنفسها ولذلك فقد نهى الإسلام عن تزويج الفتاة رغماً عنها ودون إذنها ومن ذلك عن الخنساء بنت خذام: أن أباها زوّجها بدون إذنها وهي ثيّب فأتت رسول الله ﷺ، فرد نكاحها (رواه الجماعة إلا مسلماً) وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: «جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع به خسيسته فجعل الأمر إليها فقالت: «قد أجزت أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء».

---

(١) لمزيد من التفاصيل تراجع الكتب المختصة التي كتبت في هذه الموضوعات أو التي تحدثت عن حقوق المرأة في الإسلام.

وكـذلك منع الإسلام عضل المرأة وهو منع المرأة من الرجعة إلى زوجها إذا تراضيا بعد الطلاق الرجعي أو البائن بينونة صغرى وقد نهى الله عنه في قوله تعالى: **﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾** [البقرة: ٢٣٢].

روى الحسن أن معقل بن يسار زوّج اخته من رجل من المسلمين فكانت عنده ما كانت ثم طلّقها تطليقة ثم تركها ومضت العدة فكانت أحق بنفسها فخطبها مع الخطاب فرضيت أن ترجع إليه فخطبها إلى معقل فغضب معقل وقال: أكرمتك بها فطلقتها لا والله لا ترجع إليك قال الحسن: فعلم الله عز وجل حاجة الرجل إلى امرأته وحاجة المرأة إلى بعلها فنزلت الآية السابقة: **﴿وإذا طلقتم النساء...﴾** فسمعها معقل فقال: سمعاً لربي وطاعة ودعا زوجها وقال: أزوجك وأكرمك(١).

خلاصـــة ما سبـــق:

إن الإسلام عندما أراد الاستقلال لعقلية المرأة إنما أراد أن يبني من خلاله عقلية ناهضة تفرق بين الحق والباطل وتقاوم الباطل وتتفاعل مع الحق بمعايير ربانية جديدة أو بمعنى آخـر أراد الإسلام أن يرتقي بالمرأة نحو المرأة الحركية التي تتفاعل مع الواقع الجديد وتشارك في الحفاظ عليه وتساهم في المد الإسلامي نحو العالمية.

وإن تعاليم الإسلام النسائية تخدم هذا الهدف «تشكيل المرأة الحركية» الحركية في ذاتهـا، الحركية في أسرتها، الحركية في عملها، الحركية في مجتمعها، فإن كانت المـرأة كذلك حركية ايجابية فستشعر بقيمتها ومكانتها و إن لـم تكن كذلك فحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) تحفة العروس ص ٧٧.

وكـان من نتـائـج هذا التـوجيه الجديد للمرأة المسلمة أو بتعبير آخر التوجيه الحركي الجديد بناء قدرات نسائية متميزة إذ أصبحت تمتاز المرأة المسلمة بـ:

- الشخصية المتميزة القوية.
- الجرأة والثقة بالنفس.
- التفكير العقلاني المنظم.
- الاعتماد على الذات.

وهي السمـات أو المميزات التي لا بد من توافرهـا في أي شخصية حركية للوصول إلى المجتمع الإسلامي الآمن المنشود.